نظرة الى العبثية

بقلم طلعت همام

نستطيع بنظرة متعمقة الى مفهوم العبث في عصور الفكر المختلفه ان نلمس له ثلاثة مظاهر مختلفة قد تختلف صوره ولكنها تتفق في جوهر الشك والرفض .

نستطيع ان نعود الى شك اقراطليوس ورفضه المطلق لامكان اي معرفة وامعانه في رؤية كل ماهو متغير وعدم احساسه بالثبات في اية صوره من صور الوجود نستطيع ان نلمح هذا الشك متمثلا في الانماط الحديثة او بمعنى اقرب الى الحقيقة في الاطارات المجددة للمفاهيم القديمة .

نظرة العبثي الذي لايرى في الوجود الا الرتابة والتشابه والغثاثة لاتخرج عن نظرة اللاانتمائي الذي يرفض ماهو كائن في سبيل مايجب ان يكون .

ولا تختلف كذلك عن نظرة الشاك في امكان الوجود او المعرفة الذي لايرى الا التغير وعدم الثبات ..

الانماط الثلاثة تختلف في مناظير الرؤية ولكنها تتفق في المضمون للنتيجة : التغير الدائم للوجود في نظر الشكاك والرتابة المملة للوجود عند العبثيين وانهيار الوجود في نظر اللاانتمائيين كلها تعني عدم الايمان بوجود ماهية يصدر عنها الوجود وكلها تضفي على الوجود طابع الفوضى او طابع الجمود او طابع السقوط .

افلاطون وارسطو وسقراط وسان سيمون وسكياموتا واوجست كونت .. كل هؤلاء المصلحون المتطرفون ... اصحاب الممالك والجمهوريات والنظم الممعنة في المثالية .. هم لاانتمائيون بالمعنى الكامل لهذه الكلمة .. ولكن بدرجات متفاوتة .

وان حاول البعض ان يضفي على صورة اللامنتمي خط الشذوذ او المرض فهو بلا شك يسيء الى القضية اللاانتمائية تماما .

قد لايكون اللامنتمي متطرفا في احلامه وافكاره ومثالياته .. قد يكون واقع الفوضى باعثا اصيلا في احداث هذا التطرف والهروب ولكن اللامنتمي في صورته الواجبة الوجود لايجب ان يتخذ من انهيار قيم مجتمعه علة كافية لكي ينهار او لكي يتولى دورا سلبيا في الملهاة .

اذ ان هذا الذي يتطوع لاضفاء خط النظام الى لوحة الفوضى والعبث يجب ان يستشهد في سبيل رسالته .

انني لاانادي ابدا بفكرة المصلح الاخلاقي او المعلم الاجتماعي الذي يطوف في البلاد متجولا كما يرسم اكسانوفان صورة سقراط .

ولكنني اقول ان افكار اللامنتمي ـ العبثي والشكاك والناظر من ثقب الباب ـ افكاره في سبيل وقف انهيار الحضارة يجب ان تتميز بالوضوح والاصالة والقابلية للتحقيق العملي .

هذا هو طريق اللامنتمي ولكي يصل الى المكانة المجردة التي يستطيع فيها ان يصوغ افكاره صياغة نزيهة يجب عليه اولا ان يتفهم حقيقة بديهية توضح خطأ نظرة لامنتمي كامو الى طبيعة الوجود .

كان لامنتمى كامو جريئا حتى لقد سأل في عذاب « ما المعنى ؟.. ما المعنى الذي يقف وراء كل مظاهر الحياه؟ ما المعنى الذي نستطيع ان نصل اليه عن طريق التكرار والسخافة والغثاثة والتشابه ؟ »

نعم كان جريئا ولكن جرأته كانت مشوبة بالسطحية . فهو يقف ليشاهد البسمات المفتعلة والتحيات المتكررة وانماط التقاليد الساذجة المتعارف عليها ولكنه كان من الواجب الا يسأل في مسرحية مفتعلة « ما المعنى ؟ » بل كان واجبا ان يقول . الم يحطر لاحد من هؤلاء ان يغير من هذه الانماط المتشابهة وسيجد لو التزم الحياد ان كل واحد من هؤلاء يعاني من ضغط ارادات الاخرين .. وانه لايقف وحيدا لكي يتصرف بالطريقة التي تحلو له .. وانه يعيش في دائرة مغلقة ويرتدي ملابس دور مفروض ... فرضه الوهم الذي يقول بثبات المجتمع في عقل الافراد العديين وفي عقل اللامنتمي .

ان ابسط واجبات حب الحقيقة تفرض على اللامنتمي ان يكون اكثر عمقا وادراكا لهذا الخط التقدمي المستمر في جوف التاريخ .

وسيخرج بنتيجة واحدة لاتقبل الجدال .. نتيجة تقول بان المجتمع في حاله تغير دائم وان كان بطيئا .

وان ارادات القلة اللاانتمائية المثابرة هي التي صنعت هذا التغير وسيعرف ان هناك نوعين من اللاانتمائيين : نوع مرضى ينتمي هو اليه ونوع عملي يبحث عن الاصلاح مستعينا بامكانيات الواقع المادية والفكرية .

وسنصل اخيرا الى ان اللامنتمى المرضي هو مشروع مصلح ، ولكن اللامنتمى العملي هو مصلح تحققت امكانياته بالتغاضي عن الفترة الزمنية الطويلة التي استغرقتها هذه الامكانيات في سبيل التحقق .

وقد تناول بعض الفلاسفة قضية الوجود مع الاخرين وقسموا هذا الوجود الى وجود مبتذل ووجود عميق والوجود المبتذل هو هذا الوجود الحافل بالتكرار والتشابه والملل والغثاثة الذي لا يعني بالجوهري والاصيل والصادق بعكس الوجود العميق بالطبع .

وفي قولهم هذا نستطيع ان نلمح تقسيم نيتشه للبشر الى زحل وبلاء ذوي دم ازرق .. زحل تحفل اخلاقياتهم بالضعف والتردد والجبن وتبريرات العجز المختلفة ، اما ذوو الدم الازرق فيتميزون بالسيطرة والقدرة والعفو مع القوة . هذا التقسيم بلا ادنى شك تقسيم لااخلاقي يضفي على لوحة الوجود كثيرا من ملامح اللاانسانية ويحيلها الى دوامة قذرة يتصارع فيها بلا هوادة نوعان من البشر ولو كان علينا ان نعمل على التقسيم ـ كما تفرض

أبداً... الابداع

ـ الى نفسي القديمة التي القيتها للرياح،والتي ما زالت تنشر في درب جلجلتي غوايات الصومعة الحالة ـ

« لمن تغني .. للرعاع العبيد
لتلكم المومياء ؟!
والموت قد حجرها والجمود .
حجر فيها الضياء
حجر فيها الدماء
وليس ما يبعث فيها الوجود
لانها مومياء.
. . . .
انا التي القيتني للرياح
في الليلة العاصفه
لعنتني ..
كفنتني بالجراح
جراحك الراعفه
وعدتَ كالطاووس للاخرين
تناطح الشمس بزهو الجبين
تقول : انتم مولدي
فرحتي ..

دربي ، يقيني ، مرشدي
غايتي
انا التي القيتني للرياح
وخلتني متُّ مع الميتين
ما مت .. اني قطة خالده
تموء في اعماقك البارده
ولست كالاخرين
حقودة .. جاحده
امتص منك الدماء
امتص من باصرتيك الضياء
القيك في الزوبعة المعتمه ..
لمن تغني .. للرعاع العبيد
لتلكم المومياء ؟!
والموت قد حجرها والجمود
ابقى لك الصومعة الحالمه ..
...
نثرت اوراقي بوجه السكون

حدقت في اعماقه الذاهله
حدقت في اعماقي المظلمه
فزعت .. آه يا لتلك الظنون
اعود للوحشة والعنكبوت
والقطة البرية الهائمه
وما الذي اخشى هنا ان يكون ؟!
اخشى هنا ان اموت ؟
اخشى هنا الزوبعة المعتمه ؟
وكيف اخشى ما انا راسم
اقداره .. ابعاده الكامله ؟
فهل تعمدت بماء الحياه
الا لتزكو نفسي القاحله ؟
وهل تراني جئت بالاغنيات
الا لارقاها الى الجلجله

مختار عبد الباقي

علينا طبيعة العقل البشري ـ لقلنا ان هناك نوعين من ناحية الكم ولكنهما يختلفان من ناحية الكيف عن كل التقسيمات السابقة : النوع الاول يقاسي من ضعف الوعي ومن الصراع الدائم الناتج عن الذبذبة التي يخلقها الاصطدام بما حوله من كائنات واشياء . هذا النوع الذي يلقبه البعض بالانسان الصرصار لا يبعث عن التدعيم الا في حياض الجماعة مهما كانت قيمتها الفعلية . ولا يبعث عن التدعيم الا بالاستعانة بكل ماهو مادي فقط .. فهو اما في حالة هروب دائم او انجاب مستمر .. رجل بلا اية ابعاد فكرية .. لايفكر بل يعمل ولا يقاسي من القيم الروحية المنهارة قدر مقاساته من ارتفاع ثمن الرغيف ولا يتالم بعد فشل قريب اذا انتهت ملحمة فشله بفقده للوعي عن طريق بعض النبيذ .

قد يلقبه البعض بالبطل ولكنا نلقبه باللاوعى .
فالبطل الحق هو اللامنتمى العماني الذي يعي كل ماحوله ويعاني من الصراع الدائم بين افكاره وعقائدالاخرين هو الذي يرسم في مغرب كل يوم رسما بيانيا يوضح مستوى الحضارة ويقيم انواع القياسات ويربط بين الماضي والحاضر والمستقبل في وحدة يحاول جاهدا ان يبحث عن مضمونها .

اما الحد الاوسط العالق فهو اللامنتمى الشاذ جنسيا او الفوضوي او البوهيمي فهو ليس سوى مريض يعاني من النرجسية ولا يرى في الحياة الا ملحمة تفاهات لا تجعل منه مركزا قياديا او بؤرة فعالة .

ولكن مادام مرضه مصحوبا بهذه العاطفية وهذا الاندفاع الحار نحو الاصلاح فعليه ان اراد تولى دوره ان يتخلى عن سلبيته وان يرتفع الى مستوى اللامنتمي العملي .

القاهرة ـ كلية الاداب

طلعت همام